

## وراثة العبقرية

« نمرت مجلة ( الشهر ) الفرنسية بحثاً طرفياً في وراثة العبقرية استعرض فيه كاتبه أحدث النظريات العلمية هنا للوضوح . فآثرنا على فراء الرسالة »

شملت مسألة وراثة العبقرية طائفة كبيرة من العلماء والفلاسفة منهم جالتون وموبياس وريبو ولبروزو وكوتشمر وغيرهم من الباحثين .

وهذه المسئلة تبدو في أشكال مختلفة . تبدو أولاً كحالة خاصة من معضلة الوراثة على العموم . إذا ما هي الآثار التي يتركها الآباء والأهبات ؟ وبأى الأشكال تظهر ؟ وما هي الآثار النسبية في تكوين الشخصية للوراثة المجردة من جهة ، وللبيئة والتربية من جهة أخرى ؟ وهل أثر الوراثة دائم أو غير دائم ؟ وهناك وجهة نظر أخرى تعتبر العبقرية والقكاء شذوذاً إذا قورنا بحالة الشخص العادي . وكثيراً ما يصحب هذه العبقرية وهذا القكاء فقدان في التوازن الجسدي ، وغالباً في التوازن النفسي . كذلك قد تصحبها حالة جنون

ولأننا نعلم أن عدداً من هذه الأمراض ينتقل بالوراثة ، كان لنا أن نتساءل عن صدى هذا الاتجاه للزواج : وراثة العبقرية ، ووراثة الاضطراب العصبي أو المرض

إن مما لا شك فيه أن ( في بعض الحالات ) تكون العبقرية أحياناً وراثية . وقد ظهر ذلك جلياً في كثير من رجال العلم والموسيقين والمصورين والشعراء وكبار الكتاب

فبين العلماء استطاع جالتون أن يجد أسراً كان بها طلمان وأحياناً ثلاثة أو أربعة أو خمسة ، وأحياناً أخرى أكثر من ذلك .

ووجد موبياس ٢١٥ أسرة اتفق فيها أن كان الأب والابن وافرئ الاستعداد الرياضي ، ( بين هذا المدد ثلاثة وثلاثون والداً لكل

منهم أكثر من ابن واحد موهوب ) . وقد وجد هذا الاستعداد في ثلاثة أجيال متتالية سبع عشرة مرة ، وبين خال وابن أخته

عشرين مرة : وبين أبناء العم مرتين ، وبين أشقاء وأشقاقات ١٣١ مرة ، وبين أكثر من شقيقين ثلاثة وعشرين مرة . وكان العالم

الفلكي الكبير ( دومينيك فرانسوا أرجو ) له ثلاثة أشقاء وولفان كلهم موهوبون في استعدادهم الرياضي . وكانت أسرة برنولي

Bernoulli أعظم أسرة علمية عرفها التاريخ مما دفع الأستاذ دويليه الفلكي بمصد بورديو أن يخصص للكتابة عنها كتاباً

صدر عام ١٩٢٩ وسماه Les Bernoulli et le Bernoulliennum وفي هذا الكتاب ذكر الأستاذ دويليه أن أسرة برنولي شملت

كروسي العلوم الرياضية في جامعة بال - مسقط رأسها - مائة عام وثلاثة دون انقطاع ؛ وبقيت أكاديمية العلوم في باريس تحوي

أحد أفراد أسرة برنولي مدة واحد وتمتعين تاماً متوالية

وكان نرى أثر الوراثة بين العلماء نراه أيضاً بين الشعراء . وقد

وجد جالتون اثنين من المباقرة في الشعر بين أسر : بيروت وشنييه وجوته وهين وراسين . . . . وثلاثة أو أربعة في أسر :

أسكيل وارستوفان وكورني وملتون . . . . وخمسة أو ستة في أسرتي كولردج ووردنورث . . .

ووجد جالتون اثنين من الكتاب والأدباء في كل أسرة من

أسر بوسويه وشاتوبريان وشامبليون وادجار بون ومل . . . الخ وثلاثة أو أربعة في أسر بنتام وبوالو وفيلونوليسنج وسفيني ،

وخمسة أو أكثر في أسر فيلينج وماكولي وشليجل وستايل وغيرها

وبين الموسيقيين نجد أسرتي بلخ Back وسترس Strauss هما

الأسرتين اللتين ظهر فيهما أكبر عدد من الموسيقيين . ويبدأ تاريخ أسرة بلخ عام ١٥٥٠ ، واستمر يظهر منها الموسيقيون

الموهوبون ثمانية أجيال متعاقبة ؛ وكان من طاعة هذه الأسرة أن يجتمع أعضاؤها المرمون بالفنون مرة في كل عام ؛ فكان يصل

عدد المجتمعين أحياناً إلى مائة وعشرين فنانياً ؛ وقد ذكر فيتس Fétis أن هذه الأسرة حوت سبعة وخمسين موسيقياً منهم تسعة

وعشرون كانوا في عداد النابضين

على أننا لا ينبغي أن نخرج من هذه الحقائق بأن العبقرية

( دائماً ) وراثية . إذ أن توارث العبقرية محدد بصفة أجيال فقط ، كما أنه ليست هناك قاعدة عامة لتوارث العبقرية . بل بالأحرى

هناك استثناء . ويمكن أن نقول أكثر من ذلك وهو أن العبقرية الحقيقية دائماً بمنزلة ، أو كما يقول لوردوا Lortat : ( إن المباقرة هم

أطفال لقطاء ورجال أعزباب ) Les génies sont des enfants trouvés et des célibataires . ويقصد بذلك أن الطبيعة تمنح حين

يخلق العبقري

وقد ذكر مورودوتور أن بين طبقات المجتمع التي تحوى أكبر عدد ممكن من الرجال المتمازين بذكائهم الشديد يوجد أيضاً أكبر عدد ممكن من المجانين . وقد لاحظ كل علماء النفس أن هناك عدداً من المجانين لهم أقارب يتميزون بذكاء تتفاوت درجاته . من ذلك أولمبيا أم الاسكندر الأكبر التي كانت امرأة فاسدة الخلق ظاهرة الوضاعة . وكان أب الاسكندر داعراً إلى أقصى حد . وكان الاسكندر نفسه مصاباً بحالة عصبية في كوعه . وكان شقيقه أريدوس - الذي قتل بأمر أولمبيا - أبله معتموها

وكان ابن برناردين دوسانت بيير ، وإحدى بنات فكتور هوجو ، ووالد وأشقاء فيلمان ، وشقيقة الفيلسوف كانت ، وشقيقة هيجل ، وغيرهم وغيرهم كانوا جميعاً مجانين . وكانت شقيقة ريشليو تصور أن ظهرها من البلور ، وكان شقيقه معتموها . وكان والد الموسيق بيتهوفن مدمناً الخمر ، وكان الشاعر بودلير نفسه نصف مجنون . وقد كتب يقول : ( إن اللذائى الذين كانوا إما معتموهين أو مجنونين قد ماتوا نحيتي جنون قطيع ) وكان والده الشاعر الأمريكى الشهير ادجار بوشيدى الايمان لتعاطى المشروبات الروحية

وكانت تحدث لسان توربان حركات تشنجية في ذراعه ، وكان دائم التفكير في الانتحار ، وكان أخوه نصف مجنون ؛ وكان والد بلزاك غريب الأطوار ، وكذلك كان بلزاك نفسه . وكانت جورج صاند شديدة الانقباض والحسرة وهى فى السابعة عشرة من عمرها ، وقد حاولت الانتحار فيها بعد عدة مرات . وقد كان والدها يشبهها من هاتين الناحيتين . وكان كثير من أقارب هوفمان مجانين . أما هوفمان نفسه فقد أصابه الخرق لطول استسلامه للشراب ، وكان يتصور أمام عينيه أشباحاً ويصيه من جراء ذلك الرعب الشديد ، فيطلب من أمه أن تجلس بجانبه . وكانت خالة هيرتر مجنونة وأخته شديدة الكآبة ؛ وقد جن ابنها وكان أثر الوراثة المرضية بارزاً في لورد بيرون . إذ كان أبوه رجلاً قاسد الخلق وحقاً . وكانت أمه غريبة الأطوار متكبرة طائشة . كذلك كان شوبنهور وارثاً لما كان عليه من غرابة الميول واضطراب الأعصاب . فقد كانت خالة جدته وجدتها مجنونين . وكان أبوه تتشابه نوبات قوية من التصبب المزاجي والمهم

ولو كانت المبقرية تنتقل بالوراثة دائماً لكان من الضروري أن توجد (أجناس) معينة من المباقرة . وهذا مالا وجود له . (إن المبقرية حادث فجائى يكون أحياناً وراثياً) Le génie est un accident, qui est parfois héréditaire . وقد ذكر لومبروزو للملاحظة الآتية : ( إذا وضعنا جانباً عدداً قليلاً من الحالات الاستثنائية كالتي نجدها في أسردارون وكاستيني وبرنولى وسان هيلير وهيرشل ، وجدنا أن المبقرى لا ينقل إلى ذريته إلا أتبهاً حقيقياً بمظمه في عيوننا الاسم المجيد )

إن أبناء المباقرة هم فى الغالب مخلوقات عادية بل أقل من العادية . ويقول ج . مورودوتور : ( إن الملاحظة العامة تربنا أن غالبية أبناء الرجال المباقرة ليسوا فقط أقل من آبائهم ، بل هم كسائر الناس العاديين ) ، وقد أكد ألكسندر تاسونى Alexandre Tassoni أحد كتاب القرن السابع عشر أنه كثيراً ما يحدث أن ينبج أباء عباقرة أبناء عظيمى النباوة ، وآباء شديداً النباوة أبناء علماء . واستشهد على النوع الأول بأبناء أفريكان الكبير وأنطوان وشيشرون ومارك أوريل وسقراط . ويستند أوسوالد الكيميانى الألمانى الشهير أن أبناء الرجل المبقرى لا بد أن يكونوا أقل منه

وذكر تاسونى رأى أحد العلماء المعاصرين له وكان يفسر النقص فى كثرة أبناء الرجال المباقرة بقوله : ( فى الرجال العظام تتجمع معظم القوى الحيوية فى المخ كما تقويه وتبعث الحياة والمنف فى القوى الفكرية . ولهذا السبب يكون الدم والخلية باردين ضيقين . والنتيجة أن يكون أبناء أولئك الرجال وخصوصاً المذكور أعيناء )

وهناك حقيقة أخرى هامة فيما يختص بوراثة المبقرية ، وهى أن هناك ظواهر من الجنون والاضطراب العصبى تحول دون وراثة هذه المبقرية . ذلك أن المبقرى تصحبه غالباً أنواع خاصة من الأمراض النفسية . وكثيراً ما يلاحظ المرض العقلى عند صلت وخلف الرجل المبقرى . ومن المعلوم أن الجنون ينتقل غالباً وبكثرة شديدة فى الأجيال القريبة . وحالات الجنون الوراثى فى ثلاثة أجيال متعاقبة عديدة جداً . وكان الجنون فيها فى الغالب من نوع واحد . والآن ، أليس هنا تشابه - وإن لم يكن كاملاً - بين وراثة المبقرية ووراثة الجنون ؟

إلى التحام الجنينين ببعضهما إذا كانت الأم تحمل اثنين : وهذا الشذوذ قد ينتقل بدوره بالوراثة . على أن انتقاله يكون بدرجة محدودة ولبعض أجيال فقط ، والاضطراب الذى يحدث فى حالة عدم استمرار التحام الجنينين قد يكون أثره فيما بعد إما أن ينتج عبقرية وإما جنونا ، أو اضطرابا فى الأعصاب ؛ وقد تجتمع الحالتان معا . وأخيراً قد تتبع كل منهما الأخرى ، أى أن يجمع الشخص أحياناً صفات المبقرى وموابهه ، وأحياناً أخرى اضطراباً فى الأعصاب يجعله أشبه ما يكون بمجنون حقيقى وهناك أنواع من الشذوذ تنتقل أحياناً بالوراثة ، وأحياناً لا تنتقل ، مثل الحول ، وقصر النظر ، وصغر أحد أعضاء الجسم أو كبره أكثر من الحد الطبيعى ؛ وأحياناً يكون هناك اتجاه نحو مصادر الانسان الأولى . وقد تكلم عن ذلك ريبو فى كتابه عن ( الوراثة ) إذ ذكر أن أسرة كلبون كان بها شذوذ الست أصابع *Sexdigitisme* ( أى زيادة أصبع فى اليد أو فى القدم ) وقد استمر هذا الشذوذ فى الأسرة مدة أربعة أجيال

والآن ، أليس هناك تشابه بين الشذوذ الجنائى والشذوذ العقلى الذى يسمى المبقرية والذى تكون فيه الوراثة أيضاً معدودة ؟ ذكرت مدام تاجوت ولبوكفتش أن سيدة كانت تتبع عبثاً وسائل لإجهاض نفسها ، فمئذ ما وضعت الطفل فى ميعاده المتعاد كان هذا الطفل قوى البنية ولكنه كان أبله . وكانت والدة ( كاردان ) قد حاولت إجهاض نفسها أيضاً عدة مرات دون جدوى ، وكانت النتيجة أن أصبح الطفل الذى ولدته وهو ( كاردان ) عبقرياً فذاً ؛ وقد تكون محاولة السيدتين كلتيهما لإجهاض نفسيهما ليس هو السبب الحقيقى ، لكن هذا التشابه كاف لأن يرينا كيف تنتج حالات الشذوذ التى تسمى بالمبقرية .  
والتي هى وراثية ولكن إلى درجة معدودة

إذن ماذا عسى أن يكون قانون هذا الشذوذ ؟ ذلك ما لا يعلمه أحد . ومنذ بضعة أعوام قال الأستاذ ج . هكسلى إنه قد يمكن فى المستقبل أن يجعل كل طفل عبقرياً بتغيير بعض غدده ، وقد يكون ذلك حلماً خيالياً . على أن مجموع الحقائق المروفة تثبت أن فى تكوين المبقرية قانوناً ينتج ( شذوذاً ) خاصاً . فمن يدري ؟ قد يستطيع الانسان فى حالة فهم هذا القانون ودراسته أن يصنع المبقرية ما

(...)

الدفين الذى يكشف عن نفسيته المريضة وكانت أسرة الفيلسوف رينان - الذى كان يعذبه اضطراب أعصابه - تسودها أنواع مختلفة من الجنون ؛ وكان عمه مأفوناً . وقد قضى حياته فى التصمك حتى وجد ذات ليلة ميتاً على قارعة الطريق . وكان جد رينان شديد الوطنية عظيم الاخلاص ، ولكنه فقد عقله عام ١٨١٥ م نتيجة حمى ألم به . وقد أصبحت بلدة تريجوير التى ولد بها رينان مملثة بالمجانين وأنصاف المجانين نتيجة إكثار أهلها من زواج بعضهم ببعض  
فما ذكرنا يظهر أن المبقرية ليست معدودة . وأنها لا تمتد إلا لأفراد مخصوصين ، فلا بد إذن من أن نعرف أن هناك شيئاً آخر غير الوراثة المجردة . إن المبقرى يظهر فى الأسرة فى لحظة معينة ولا يمكن أن يظهر قبل ذلك . كذلك قد يتبعه وقد لا يتبعه عباقرة آخرون . والأب المبقرى قد يكون له ابن عادى ، وقد يكون هذا الابن غيبياً . وإذا استمرت الأسرة فى إنتاج عباقرة كثيرين فإن هذه الظاهرة تقف بعد بضعة أجيال كأن الطبيعة قد نالها الرهق والنضى . وأخيراً كثيراً ما يحدث أن يجل الجنون عمل المبقرية ويكون ذلك راجعاً إلى نوع خاص من الوراثة متأثر بعوامل غير وراثية

وقد قال البعض : إن الوراثة والبيئة يتعاونان معاً بنشاط على إيجاد المبقرى ، إذ أن ( الوراثة ) لا تنتج فى الرجل إلا ( ما يمكن أن يكون ) وليس ما سيكون ، أما آثار الوسط وحدها فهى قادرة على تحويل الاحتمال إلى أمر واقع . على أن (الوسط) لا يكون تأثيره بمد الولادة فقط ، بل إنه يؤثر فى الشخصية المستقبلية قبل الولادة ، وذلك بطرق مختلفة

وقد عملت أبحاث فى جلاسجو عن علاقة عدد المواليد بالكفاءة فظهر أن عدد المواليد يزيد عند الرجال الأقل ذكاء ، كذلك الأسر يتكاثر عددها كلما قلت الكفاءة العقلية عند أعضائها

إن المبقرية شذوذ وشرد عن الحالة العادية ، وهى بلا شك اضطراب أكيد ؛ هى حادث فجائى ، وكذلك الجنون ، وهذا الحادث الفجائى قد يرجع إلى حالة الوالدين قبل الحمل أو إلى اضطراب بصيب الجنين ، فما يحدث للوالدين قد ينتج عند الطفل نوعاً من الشذوذ النافع ، وقد ينتج تشوهاً فى خلقته ، أو يؤدى